الشعب هو الكل

نزع السلاح — كلام المسيو بريان

لما انفرط عقد مؤتمر وشنطن وهمّ المسيو بريان رئيس الوزارة الفرنسوية حينئذٍ بالعود الى بلادهِ تأبلهُ المسيو لوزان محرّر المآن الباريسية وكان قد سافر الى اميركا لحضور المؤتمر وموافاة جريدتهِ باخبارهِ فقال لهُ « قد انتهت هذه السياحة العجيبة وانت عائد الى فرنسا فان كان عندك رسالة للذين ستتركهم وراءك فما الذي تقولهُ لهم »

الوزير — اقول اولاً ان الذين لم يروا الاميركيين في بلادهم لا يعرفونهم . قبل مجيئي الى هنا كنت اظن اني اعرف الاميركيين بعد ما عاملت سفراءهم وزارني كبار رجال الاعمال منهم ورأيت جنودهم . ولكن لما وطئت ارض اميركا وزرت مدنها العظيمة ورأيت شعبها شعب الشوارع والمجتمعات ادركت اذ ذاك ان ما وقع في نفسي منهم قبل مجيئي الى هنا انما كان اثراً ضعيفاً من الحقيقة . وخطأ اهل السياسة هرائهم يرون غيرهم من رجال السياسة ولا يعنون بالشعب العناية الكافية . والشعب كلّ شيء فهو الذي يبرم التاريخ وينقضهُ وهو الذي يكتبهُ . اما الساسة فيكتبون القلم وكثيراً ما لا يحسنون مسكهُ

الصحافي — هل وقع في ذهنك ان مؤتمر وشنطن هذا مؤتمر شعوب

الوزير — نعم والف نعم فان المستر هيوز (وزير خارجية اميركا) انما تكلم بلسان الشعب الاميركي لما اقترح اقتراحهُ المشهور لتحديد السلاح البحري . ولا مجال للريب في ذلك اكثر مما في قوة نور الشمس . وفي كل مكان كانت الشعوب هي التي لبّت النداء بعضها بفرح والبعض بشيء من الخوف والكل بمزيد الرجاء . واعلم اني انا ايضاً تكلمت بلسان الشعب الفرنسوي كله . وكانت تلك الساعة التي تكلمت فيها من الساعات المعدودة في حياتي السياسية . وكنت اتمنى لو استطعت ان احذو حذو للمستر هيوز فاقف واقول لذلك الجمع المحشود من جميع زوايا الارض « ان فرنسا ستحتذي مثالكم وهي مستعدة لتفعل بجيوشها كما فعلتم انتم باساطيلكم ولتكفّ عن بناء المدافع وتستريح كما كففتم انتم عن بناء البوارج واسترحتم » .

وأعلم اني لو قلت ذلك لانتصرت اعظم انتصار بوجوه رجل سياسي ولفتح سامعي صفيح الهتاف العظيم . ولكني لم اكن لاستطيع ذلك من غير استهانة بقوى وبالحق ومن غير اخلال بالواجب عليّ . اذ كل ما على اميركا ان تعمله ان تلتفت الى انكلترا واليابان فاذا اتفقت معهما فقد سلمت . اما فرنسا فعليها ان تلتفت الى المانيا وروسيا وسائر اوربا التي لا تزال مصابة بحمى الحرب . وهي تبذل الشيء الكثير في سبيل القاء ترسها ودرعها ولكنها لن تبذل نفسها

وليس المهم ان يلقي المرء سيفهُ بل ان يعزم على عدم امتشاقهِ . ونحن في فرنسا عاقدو العزم ان لا نكون البادئين بامتشاق الحسام الذي لا نزال مكرهين على تقلده . وهذا عزم اكيد لا تتحول عنهُ . وعلينا ان نذأب جهدنا لحمل جميع الشعوب على اقتفاء خطانا . فاذا فعلت تحولت سيوفنا كلها الى مناجلنا . وقبل ذلك يجب علينا ان نسعى في تقليل سيوفنا ما امكننا بحيث لا تحتاج الى نفقة كثيرة . وقد فعلت اميركا من هذا القبيل ما يوشك ان يعد معجزة وستساعدنا على عمل مثل هذه المعجزة لانها ارض المعجزات والعجائب . وكما لم يقم بين العلماء عالم استطاع منع الموت كذلك لم يستطع بلد من البلاد منع الحرب ولكن اميركا اخرت الحرب كما اخر العلماء الموت . وبذلك خدمت بني الانسان خدمة جليلة مرة اخرى » انتهى

هذا الكلام حقٌ لا ريب فيهِ ولكن من ينظر في احوال الامم الحاضرة والغابرة يجد ان الذين يثيرون الحروب ليسوا الشعوب المحكومة بل حكامهم اهل الامارة وسائر المنتفعين من صناعة الحرب كقواد الجيش وصانعي الاسلحة اما الشعوب فتتناظر وتتزاحم وتتخاصم ولكنها اذا تُركت لنفسها لا تصنع مدفعاً يخرب حصناً ولا تثير حرباً تدوم سنوات ويهلك بها ملايين من النفوس

فلو صارت الممالك كلها جمهوريات كفرنسا واميركا وسيطرت شعوبها على الذين تنتخبهم لحكمها واختارتهم من اهل الفضل الذين يتتبع حياة الشعوب في التاريخ وعلماء الاجتماع لسهل عليها حل ما يقع بينها من المشاكل والخصومات من غير التجاء الى السيف والمدفع . وقد لا يرى اولادنا ذلك ولكن لا يبعد ان يراهُ اولادهم